الشباب و الصلة بالله

قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ **[الكهف:١٣].**

نحن في الخطبة الخامسة عشرة من سلسلة **قضايا الشباب** تحدثنا: لماذا هذه السلسلة، الشباب في القرآن الكريم، الشباب في حديث سيدنا محمد ﷺ ، الشباب والعلم، والشباب والعمل، الشباب والمسجد، الشباب والعفة، الشباب ووسائل الاتصال الحديثة، الشباب وبر الوالدين، الشباب والحب، والشباب والهدف, وعنوان خطبة اليوم: **الشباب والصلة بالله تعالى.**

أيها الإخوة:

سقطت الأوراق كلُّها من أيدينا، لا الشرق بات ينفعنا ولا الغربُ، ولم يبقَ في أيدينا إلا ورقتان: الورقة الأولى هي أُسرنا، والثانية والأهم هي صلتنا بالله تعالى.

ومَنْ هو؟

الله الذي أرسل رسولاً في أمةٍ أمية لا تقرأ ولا تحسب، ضائعةٍ في نواحي الصحراء، متناحرةٍ متخاصمة، وأنزل عليه كتاباً واحداً فجعلهم به خير أمةٍ أخرجت للناس, حين ائتمروا بأمره وانتهوا عن نهيه.

الله الذي خلق السموات والأرض ولم يَعْيَ بخلقهنَّ، تَأْتَمِرُ السماء والأرض بأمره، يخفض ويرفع، ويعطي ويمنع، ويعز ويذلّ.

الله الذي يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء، ويجعلكم خلفاء الأرض.

الله الذي خاطبه يحي بن معاذ الرازي في المناجاة فقال:

إلهي لا يطيبُ الليل إلا بمناجاتك, ولا يطيب النهارُ إلا بطاعتك, ولا تطيب الدنيا إلا بذكرك, ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك, ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك.

وخاطبه ابن عطاء الله في المناجاة فقال:

إلهي أنا الفقير في غناي، فكيف لا أكون فقيراً في فقري, إلهي أنا الجاهل في علمي, فكيف لا أكون جهولاً في جهلي, إلهي كيف أخيَّب وأنت أملي، أم كيف أهان وعليك مُتَّكَلِي.

الله الذي خاطبه أحد المحبين شعراً يقول:

من فاتَهُ منك وصلٌ حظُّهُ الندمُ ومن تكن همَّهُ تسمو به الهممُ

في كلّ جارحةٍ عينٌ أراك بها مني، وفي كلّ عضو بالثناء فمُ

فإن تكلمتُ لم أنطق بغيركُمُ وإن سكتُّ فشغلي عنكم بكمُ

أخذتم الروح مني في ملاحظةٍ فلست أعرف غيراً مذ عرفتُكُمُ

نسيتُ كلَّ طريق كنتُ أعرفها إلا طريقاً تؤدّيني لربعكُمُ

الله الذي خلق في معدتك مليار خلية, وفي دماغك أربع عشرة مليار خلية عصبية تعمل بانسجام تام، وخلق في عينك مائة وأربعين مليون كاميرا تلفزيونية تسمى العصيات والمخاريط، وتصور الأشياء بألوانها، وأحجامها، وأشكالها، وأبعادها بأسرع من الضوء، وخلق في كليتك مليون مصفاة للدم، وخلق في جلدك ثلاثة إلى خمسة ملايين جهاز حساس للألم، ومئتي ألفِ جهاز حساس للحرارة، وخمس مئة ألف جهاز لِلَّمْس، وعشرة ملايين غدة عرقية تعمل كمكيفات حرارية، وخلق في لسانك عشرة آلاف خلية ذوقية تستطيع من خلالها أن تتذوق أربعة آلاف مادة طعامية, وجعل حساسية تذوقك للطعم المر تفوق حساسية سائر الأطعمة بعشرة آلاف ضعف, ذلك لأن السموم كلَّها مرة.

الله الذي يحرك قلبك فيجعلُه يضرب في كلِّ دقيقة سبعين ضربة، وهو الذي يجعلك تتنفس في كل يوم خمساً وعشرين ألف عملية شهيق وزفير، وهو الذي يخلق لك في كل ساعة عشر ملياراتِ كرية حمراء.

الله الذي لولاه ما كنا، ولولاه ما قمنا, ولولاه ما نمنا، ولولاه ما صرنا.

الله الذي إذا اتصلنا به رُفِعْنَا، وإن قُطِعْنَا عنه هبطنا.

يقول أَلِكْسيس كارل – بروفسور جراح فرنسي حائز على جائزة نوبل مرتين –:

إن الإنسان بحاجة ماسة للصِّلة بالله أكثر من حاجته لاستنشاق الأكسجين, إن تنمية الجانب الروحي للإنسان – جانب صلته بالله – هو أكثر ضرورة للنجاح في الحياة من الجانب المادي والذهني، وإن الوهن الروحي في الصلة بالله لا يسمح للإنسان بأن

يكون عضواً مؤسساً في بناء مجتمع سليم معافى، وإن أسباب انهيار مَدنيتنا – نحن الغربيين – يعود بالدرجة الأولى لهذه الصفة الردئية عند الفرد في الغرب.

أيها الشباب:

نحن بحاجة إلى شباب علماء, وإلى شباب عاملين, لكننا بحاجة إلى أن يكون علمنا وعملنا مكللاً بصلتنا بالله تعالى؛ لأن العلم بدون صلةٍ بالله تعالى يُودي بالأرض إلى سباق التسلح وحروب الإبادة الجماعية, ولأن العمل والمال بدون صلة بالله تعالى يودي بالأرض إلى تكديس الأموال في أيدي قلةٍ قليلةٍ من البشر، بينما يموت الملايين منهم جوعاً ومرضاً.

ما أجملَ الشابَّ العالم القريبَ من الله! ما أجملَ الشاب العاملَ المتصل بحضرة الله!

جمع الشجاعة والخشوع كليهما ما أجمل الشجعانَ في المحراب

واسمعوا – أيها الإخوة الشباب – إلى هذه الآثار التي تدعوكم إلى الإقبال على الله تعالى وتقوية صلتكم به؛ لأن زمن الشباب هو زمن زيادة القرب من الله تعالى:

لقد رُويَ عن رسول الله ﷺ «**أحبُّ الخلائق إلى الله شابٌّ حدثُ السِّنِّ, جميلٌ, في صورة حسنة، جعل جماله وشبابه في عبادة الله، فذاك الذي يباهي به الرحمنُ ملائكته يقول: هذا عبدي حقاً**»[1].

ورُوي عن عتبة بن عَبد قال عن رسول الله ﷺ: «**إن الشاب المؤمن لو يقسم على الله لأبرّه**»[2].

ورُوي عن رسول الله ﷺ «**إن الله يحب الشاب التائب**»[3].

وروى فضالة بنُ عبيد أن داود عليه السلام سأل ربه عز وجل: يا رب أخبرني بأحبائك من خلقك أحبُّهم لك قال: رجلٌ يفني شبابه وقوته في طاعة الله عز وجل.

أيها الإخوة:

إن بين العبد وبين الله حبلاً لا ينقطع, وفي حين أن حبال البشر منقطعة.

وبين العبد وبين الله بابٌ لا يغلق بينما أبواب العباد منغلقة, والشباب هم أولى من يتمسك بذلك الحبل, وهم أولى من يدخلُ من ذلك الباب.

---

(1) أخرجه ابن عساكر في "تاريخ مدينة دمشق" 14/286, وقد قال السيوطي في "كنز العمال" برقم (43103) فيه إبراهيم الهجري ضعيف.

(2) تقدم تخريجه.

(3) تقدم تخريجه.

قال أبو حمزة – مختار بن عوف الأزدي –: يا أهل مكة, تعيرونني بأصحابي، تقولون: إنهم شباب، وهل كان أصحاب محمد ﷺ إلا شباباً, نِعْمَ الشبابُ مكتهلون في شبابهم، عميةٌ عن الشر أعينُهم، بطيئةٌ إلى الباطل أرجلُهم أنضاء عبادة [أي: أتعبت العبادة أجسادهم], قد نظر الله إليهم في جوف الليل، مثنيةً أجسامهم على أجزاء القرآن، وإذا مرَّ أحدهم بآية فيها ذكرُ الجنة بكى شوقاً إليها، وإن مرَّ بآية فيها ذكرُ النار شهق شهقةً كأن زفيرها في أذنيه، قد وصلوا كلالهم بكلالهم، كلالَ ليلهم بكلال نهارهم، أكلت الأرض من جباههم ورُكَبهم وأيديهم من كثرة السجود وطول القيام يستقلون ذلك في جنب الله, موفون بعهد الله, واثقون بوعد الله, حتى إذا رأوا سهام العدو قد أُبْرزَت, ورماحَه قد أُشرِعت, وسيوفَه قد انتصبت, وبرقت الكتيبةُ مضى الشاب منهم قُدُماً حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه وتخضبت بالدماء محاسن وجهه[1].

وكثيراً – أيها الإخوة – ما وُصِفَ أصحاب سيدنا محمد ﷺ بأنهم رهبان في الليل, أُسُودٌ في النهار, ونحن اليوم أحوج ما نكون إلى شابٍّ قويّ الصلة بالله, شديدِ العزم في الحياة.

الآن, كيف تقوي صلتك بالله؟

عليك بأمور خمسة:

أولاً: دع المعاصي:

لأن للمعصية ظلمةً في القلب, وشيناً في الوجه, ووهناً في البدن, ونقصاً في الرزق, وبغضة في قلوب الخلق, وهي قبل كل ذلك قطيعةٌ عن الله عز وجل.

وليس المؤمن هو الذي لا يعصي الله, ولكن المؤمن هو الذي إذا عصاه رجع إليه, أما التمادي في المعاصي فإنه يوجب الإصرارَ عليها, ويوجب الغفلةَ عن الله، ومن غفل عن الله تجرأ عليه، ومن تجرأ عليه هلك.

ثانياً: أتقن فرائضك.

يقول الله تعالى في الحديث القدسي: «ما تقرَّب إليَّ عبدي بشيء أحبُّ إليَّ مما افترضت عليه»[2].

---

(1) أخبار مكة للفاكهي 5/115.

(2) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (6502), وأخرجه أحمد في "مسنده" برقم (26193) من حديث أبي ذر ﷺ .

ثالثاً: حافظ على أورادك في الذكر والنوافل والقرآن:

لأن الصالحين قالوا: إنما الواردات من الأوراد، وأحب الأعمال إلى الله تعالى أدومُها وإن قَلَّ[1].

رابعاً: حافظ على مجلس علمٍ في الأسبوع.

خامساً: اصحَبْ أهل الوداد والوصل تصِلْ، فإن الصاحب يُعدي.

والحمد لله رب العالمين

[1] «أحب الأعمال أدومها وإن قل» أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (6464) ومسلم في "صحيحه" برقم (1830) من حديث عائشة ل.